الرُّتَب الكهنوتيّة

في الطائفتين المارونيّة والسريانيّة

بقلم المتوري اسحق ارملة السرياني

٧

٦ً طقس سيامية الحبر (تتمة)

رتبة التبريك البطريركي

يتمّ التبريك البطريركي في الطقسين الماروني والسرياني بالحرف الواحد دون فرق بتّةً على الوجه التالي[1] :

بعد الفراغ من صلاة الساعة الثالثة يدخل الاساقفة كافة الى المذبح ، ويأتون بالمنتخب فيضعون على راسه القلنسوة تحتها الاسكيم الاسود ، ويفرغون عليه القميص والزنار المزركش والمصفة والبطرشيل والزندين والغفارة[2] . ويخرّون جميعاً امام المنتخب فيقول كبيرهم بالسريانية : « ان الروح القدس يدعوك لتكون بطريركاً » الخ. فيجثو المنتخب على ركبتيه ، ويقول بالسريانيّة : « سمعاً وطاعة » وبعد ذلك يؤازرونه وراء المذبح . ويعود كلٌّ منهم الى محله . ويستوي كبيرهم على عرش يحفّ به الاساقفة كلهم لانهم يجب ان يشتركوا جميعاً في تبريكه متناوبين في تلاوة الصلوات والحسايات الخ. ثم يبدأ كبير المجمع بالرتبة الاولى : «حصحصل للاحل المجد للآب. اهلنا ايها الرب الاله ان نقوم امام مذبحك» الخ. ثم يرتلون باللحن الثالث ثلاث آيات من المزمور العشرين : « يا ربّ بقوتك يفرح الملك » الخ يردفونها بترنيمة : أهل وحلا لهذا الخ . ثم ثلاث آيات اخرى منه يردفونها بترنيمة : حصحص وُبما حصحصل الخ . ثم ثلاث آيات اخرى منه يردفونها بترنيمة : حصحصحص حصلالا الخ . ثم ثلاث آيات

---

١) نكرّر ما ذكرناه آنفاً وهو ان رتبة سيامة الاسقف وتبريك البطريرك واحدة عند السريان لا فرق فيها الا في صلاة اقليس وتسليم العصا .

٢) يُعوَّض عن الغفارة في الطقس السرياني بطيلسان قرمزي .

ايضاً منه يردفونها بترنيمة : ... الخ . ثم المجدلة وترنيمة : ... الخ .

ويصلي الرئيس او احد الاساقفة : « جدد بنا يوماً فيوماً » الخ . يردفونها بثلاث آيات من المزمور ٤٤ : « فاض قلبي بكلام صالح » الخ . باللحن الرابع ويتبعونها بترنيمة : ... الخ . ثم ثلاث آيات اخرى منه مع ترنيمة : ... الخ . يختمونها بالمجدلة وترنيمة : ... الخ .

ويصلي احد الاساقفة : « اللهم يا من كمّل رسله بروحه » الخ . يردفونها بترتيل آيات من المزمور ٧١ : « اللهم اجعل احكامك للملك » الخ . باللحن السابع يتبعونها بترنيمة : ... الخ .

ويصلي احد الاساقفة : « نعمة الروح القدس الكاملة » الخ . ثم يتناوبون بترتيل آيات من المزمور ١٣١ « اذكر يا ربّ داود » الخ . يتبعونها بترنيمة : ... الخ[1] .

وعند ذاك يطوف احد الاساقفة حول المذبح وفي الكنيسة بالمبخرة يرافقه كاهنان وشمّاسان في مرتبتين وشمعتين . ويرتل احد الاساقفة الحتاي : « تسبيحاً دائماً لا مثيل له » الخ . ثم : « ايها الاله الذي يسمو على كل شبه » الخ . يلي ذلك اربعة ابيات بوزن ... الخ . ويقول احد الاساقفة المطر : « ايها المسيح قوة الآب وحكمته » الخ . ويقول الرئيس : « السلام معكم » . ويجيب الشعب : « ومع روحك » ثم يرتل الزمار : « لان الربّ اتكالنا » الخ . ويقرأ احد الاساقفة من اعمال الرسل (١ : ٢ - ٨ و ٢٤ - ٢٦ و ٢ : ١٤ و ٢٢ و ٢٣ و ٦ : ٢ - ٧ و ٨ : ١٤ - ٢٢) . ويقرأ اسقف ثانٍ من (١ بطرس ١ : ١٣ و ١٥

---

١) قال السيد دريان (ص ١٥٩) ما ملخصه : ان مقدمة هذه الرتبة البطريركية تختلف عن كل المقدمات السالفة بزامير وقولونات وسطيخونات لحنها مجهول عندنا . وعدم معرفة تلحينها قد ذهب برونقها . اه . اما السريان فقد اصطلحوا على ترنيم هذه الادوار بنغمة مخصوصة . ونودّ لو تعلّم ترنيمها الجميع حرصاً على النظام وازدياداً لرونق الرتبة .

و١٦ و٢:٧ و٥:١-٤) . ويقرأ اسقف ثالث من (١ طيم ١ : ١٨ و١٩ و٣ : ١-٦ و١٣ و٥:١٩-٢٢ و٦:١١ و١٢ ١٦). ثم ينشدون الهلال : « لاجل هذا مسحك الله » الخ . ويرتل الرئيس الانجيل من متى (١٩:١٣-٢٠) ويكون الرئيس اذ ذاك منتصباً على درجة المذبح متجهاً نحو الغرب ، ويكون المنتخب متجهاً نحو الشرق وكتاب الانجيل على كتفيه وظهره[1] .

وبعد نهاية الانجيل يستوي الرئيس على كرسيه ويأتي اسقفان بالمنتخب الى جنوبي المذبح فيقف عند جنحه ويتلو صكّ ايمانه مكتوباً بخطّ يده على هذا النمط : « انا الحقير فلان بن فلان المدعو برحمة الله وانتخاب هذا المجمع الى معالي المقام البطريركيّ أؤمن ايماناً ثابتاً » الخ . ويمضي الصكّ ويدفعه الى الرئيس ليُحفظ في خزانة الكرسي.

ثم يأتي بالمنتخب اسقفان الى امام المذبح فيجثو على ركبتيه وعليه حلّة رهبنته[2] . فيبدأ الرئيس بالرتبة الثانية ، وهو منتصب امام المذبح ، ويقول بعد المجدلة : « ايها الرب الفارقليط » الخ. ويتلو الاكليرس مزمور « ارحمني يا الله» مع الابيات السريانية . ثم يبدأ الرئيس بالحاي : « مجداً واحداً مثلث الاضواء» الخ . ثم : « نبتهل متضرّعين الى عذوبة رحمتك » الخ . يردفونه بستّة ابيات صوصل وأحنه حصصلهه الخ. مسبقة بالمزمور ١٥٠ ثم يتلو الرئيس العطر: « لبهاء مجد عظمتك ايها السامي » الخ.

---

١) السماني : على كتفيه وعنقه . وفي الطقس السرياني يكون كتاب الانجيل مفتوحاً على ظهر المنتخَب

٢) قال المجمع اللبناني (٣٧٩) ان اسقفين يقرعان القفارة والصنفة عن المنتخَب . ولا ذكر للقفارة في النص السماني ولا في الطقس السرياني . اما الاسكيم ، وهو حلة الرهبنة ، فيجب ان يبقى في رأس المنتخَب . قال المجمع اللبناني (٣٢١) : ان الكهنة من الرهبان والاحبار انفسهم يتبغي ان يحفظوا الاسكيم لدى مباشرتهم خدمة الاسرار المقدسة ولا يكشفون رؤوسهم . . . ومتى كان احد الرهبان في انحاء المغرب واراد ان يتلو هناك القداس وجب عليه ان يجري على عادة البلاد بكشف رأسه دفعاً للعثار . . . غير ان البطريرك يعقوب اجاز للرهبان اللبنانيين ان يقرعوا عن رؤوسهم الاسكيم الرهباني في وقت القداس ولو كانوا في سورية وسائر المشرق . . . اما غيرهم من الرهبان فلهم ابقاء الاسكيم الرهباني في اوان القداس .

ثم يتلو الرئيس سرًّا : « ايها الربّ الاله القوّات » الخ . ويجهر : « واقبل رئيس الرؤساء » الخ . ويوتى بالمنتخب فيجثو على ركبتيه قدّام المذبح ، فيلتفت الرئيس الى الغرب ويقول : « السلام معكم . » ويقول الشعب : « ومع روحك » . ثم يأمر الرئيس واحدًا من الاساقفة فينادي في باب المذبح : « النعمة [1] الالهية التي تشفي الضعفاء وتكمّل النواقص وتعتني بالكنائس تدعو وترقّي عبدالله [2] فلانًا الى كرسي بطريركية مدينة الله انطاكية العظمى » الخ . ثم يلتفت الرئيس الى المذبح ويضع يديه على الجسد وعلى الدم ويرفّ بهما ثلاثًا الخ . كما ذكرنا في سيامة الشمامس والقس ويصلي بخشوع سرًّا : « اجعله اللهم مستحقًّا لدعوة الحبريّة » الخ ويخطّون يدي الرئيس بقفّارته فيجهر : « ويجد وراثة قديسيك » الخ . ويتوجّه نحو المنتخب فيضع هو ولفيف الاساقفة ايديهم [3] على راس المنتخب . ويفتح بعض الاساقفة كتاب الانجيل ، عند الاصحاح الرابع من لوقا ، فوق ايديهم ويلوّح غيرهم بالمراوح فوق الانجيل . فيرفّ الرئيس بيديه ثلاثًا فوق راس المنتخب ويصلي صلاة دعوة الروح القدس : « اللهم يا من صنعت جميع السماويين بقوتك » [4] . ثم يصلّون كلهم سرًّا ، وهم واضعون ايديهم على راس المنتخب ، صلاة اقليميس الروماني المختصة برسامة البطريرك وهي : « ايها الاله الذي صنعت جميع الاشيا بقوّة » الخ . ويلتفت الرئيس الى الشعب قائلًا : « السلام معكم » . ويجاوبونه : « ومع روحك » . ويتلو الرئيس سرًّا : « اللهم انظر الينا والى خدمتنا » الخ . ويجهر : « لانك الاله الراغب في الرحمة » الخ .

وهنا يرفع الاساقفة كتاب الانجيل عن راس المنتخب ويحيدون عنه . فيلتفت الرئيس نحو المنتخب ويضع يده وحده على رأسه ويشهر رسامته قائلًا

---

١) ذكر المجمع اللبناني (٢٧١) ان رئيس المجمع يضع يده على راس المنتخب قائلًا : « النعمة الالهية الخ . »

٢) في النص السرياني محب الله بدلًا من عبد الله .

٣) في الطقس السرياني لا يضع اليد على راس المنتخب الا رئيس المجمع فقط .

٤) هذه الصلاة لا يتلوها الرئيس في الطقس السرياني الا في سيامة الاسقف وهي صلاة دعوة الروح القدس . وفي صحفهم صلاة اخرى تليها تقال للكاهن وصلاة ثالثة للشمامسان .

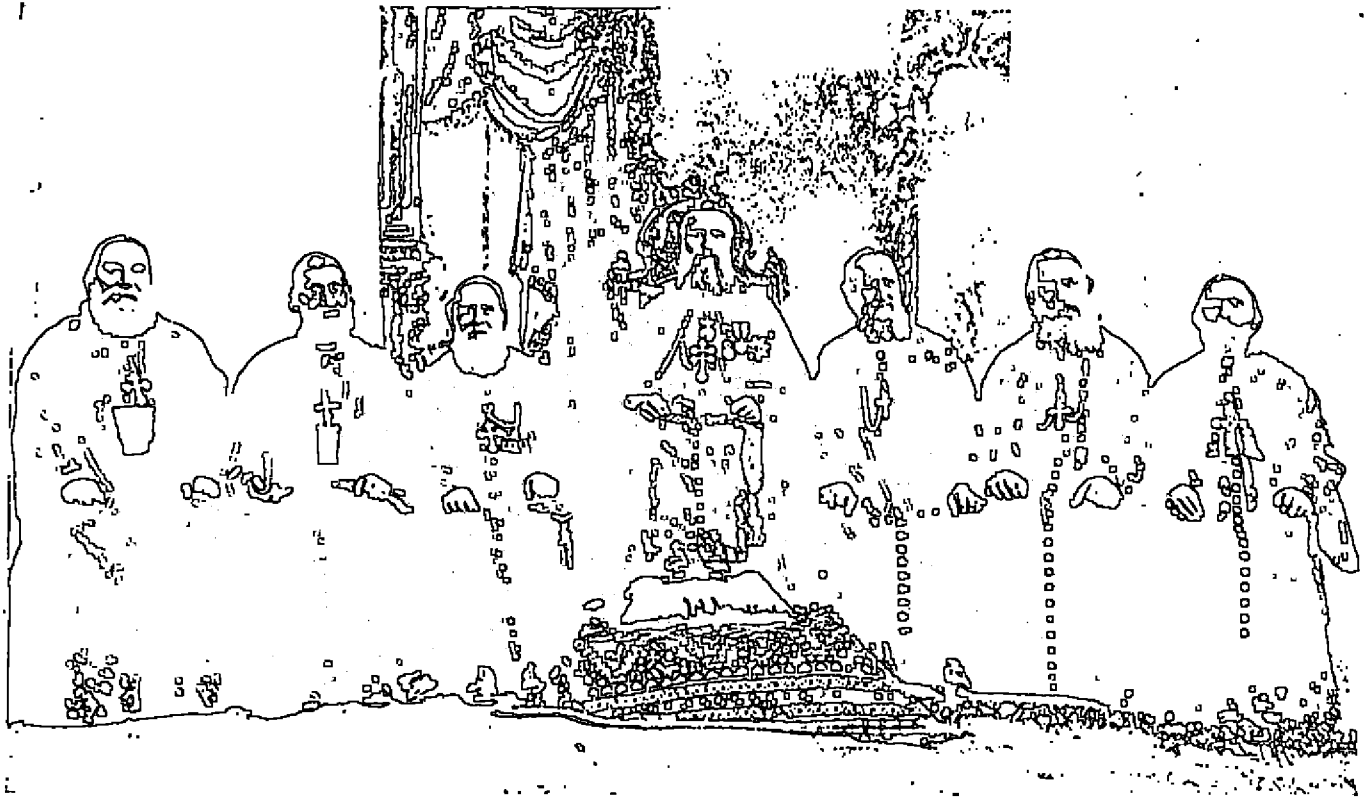

غبطة بطريرك السريان الكاثوليك ، اغناطيوس جبرائيل تبوني ، وبعض اساقفة طائفته .

بالسريانية : « ارتقى[1] في بيعة الله المقدسة » . فيجاوبه الاساقفة معاً : « فلان بطريركاً على كنيسة مدينة انطاكية المقدسة الابرشية المباركة » . ويقول الرئيس : « فلان بطريركاً لكنيسة الارثذكسيين المقدسة التي سبقت فاشتهرت . » ويقول الاساقفة : « بارخمور » فيردف الرئيس اذ يسم المنتخب في جبهته ثلاثاً شكل صليب قائلاً « بسم الآب ✝ والابن ✝ والروح ✝ القدس . » ويقول الشعب : آمين ، عند ذكره كلًّا من الاقانيم الالهية المقدسة . ثم يمسكه الرئيس بيمينه وينهضه وهو يقول : « كيريولوجيون[2] . ويقول الاكليروس والشعب ثلاثاً : قوريالیسون . »

ثم ان الرئيس يوشح البطريرك الجديد بالمصنفة والفنارة والبطرشيل[3] الكبير وصليب الصدر والتاج . وهو ينشد في كل مرة بالسريانية : « لمجد واكرام » الخ . ويجاوبه الاساقفة ولفيف الاكليرس بمثل ذلك .

ثم ان الاساقفة يُجلسون البطريرك على كرسيّ ووجهه الى الغرب وهم ينشدون : « لمجد واكرام » الخ . ويمسكون بالكرسي ، وعليه البطريرك ، ويرفعونه ثلاث مرّات ويقول الرئيس ثلاثاً : « اكسيوس يستحق . » ويجاوبونه مثل ذلك . ثم يقال الهلال ويقرأ البطريرك الجديد[4] من انجيل يوحنا (١٠ : ١ — ٢١) . وعند قوله : « انا هو الراعي الصالح . » يهتف الشعب جميعاً بالسريانية : « يستحق ويستوجب . » وعند نهاية الانجيل يرتل احد الاساقفة : « فلنقف حسناً بالصلاة » الخ . ويلتفت الرئيس الى المذبح ويصلي سرًّا : « نشكرك ايها الرب الضابط الكل » الخ . ويجهر : « كيما مع جميع الذين ارضوك » الخ . ثم

---

١) في الطقس السرياني صعاحنوس : يرتقي .

٢) في الطقس السرياني : قرياولوجيسون . وقال السمعاني : ان احد الاساقفة يقول كيريولوجيون ثلاثاً .

٣) قرأنا في مخطوط دير الشرفة القديم (صفحة ١٠ من مجموعتنا) ان بطرشيل الاحبار يُسدَل فوق الفنارة على الكتف اليسرى . وفي ذلك يُشبه بطرشيل احبار الارمن .

٤) يكون البطريرك في الطقس السرياني مستوياً على الكرسي مرفوعاً على ايدي الاساقفة والكهنة عند قراءته هذا الانجيل . وهذا عينه يجري حين سيامة الاسقف ابناً عندهم .

يتوجه نحو البطريرك ويقيمه من الكرسي ويدفع اليه عصا الرعاية بحيث يمسك هو باعلاها، ثم يأتي الاساقفة فيمسكها الاقدم فالاقدم، وفي آخرهم البطريرك واذ يكونون باجمعهم قابضين عليها يهتف الرئيس بنغمة شجية بالسريانية قائلاً: « عصا العز يرسل لك الرب من صهيون » الخ . ويتابعه في ذلك الاساقفة اجمع . ثم يمسك الرئيس بيمين البطريرك ويرفعها فوق ايدي الاساقفة كلهم بحيث تصبح ايديهم تحت يده وينشد الرئيس ثانياً وثالثاً: « عصا العز » الخ . ثم يتركون العصا في يد البطريرك وحده وبذلك يدلون على انهم سلموا اليه السلطان على جميعهم برضاهم.

ثم يأتون به الى المذبح ويخاطبه الرئيس سراً: « اعلم انك الآن ماثل امام الله » الخ . ويجهر: « ايها الاله الذي اصطفى موسى عبده » الخ . وينادي احد الاساقفة الكرازة: « ايها المسيح الهنا » الخ . ويختم الاكليرس بنشيد سرياني في تقريظ الملفان المزدان باسمه البطريرك الجديد . وبعد هذا يصلي البطريرك: « ايها المسيح اله جميعنا » الخ .

واخيراً يحيي الرئيس والاساقفة البطريرك ويأتون به الى باب المذبح الكبير فيمنح الحاضرين البركة بالعصا ثلاث مرات بشكل صليب . ويتقدم الباقون الى تقبيل يمينه . ويختم البطريرك القداس ويتناول القربان المقدس ثم يتناول رئيس المجمع ايضاً، ويصرف المؤمنين قائلاً: « امضوا بسلام » الخ . وورد في بعض الصحف انه يُستحسن ان يخطب احد الاساقفة في تمداد مناقب البطريرك الجديد والاحبار الذين اشتركوا في تسليمه عصا الرعاية.

ذلك كله يتفق فيه الطقسان اتفاقاً عجيباً تاماً . ونستنتج من هذا الاتفاق ان رتبة ترقية الاسقف والبطريرك عريقة في القدم جداً. ترتقي الى ما قبل القرن العاشر.

وقد اعتاد بطاركة السريان منذ احقاب ان يستكتبوا صكاً يسمونه وسطانيقون ⸗⸗⸗⸗⸗⸗ يثبتون فيه وصف سيامة الاسقف الجديد وتفويضهم اليه رعاية ابرشيته . ومثل هذا الصك البطريركي مشهور عندهم يعتني ناسخه شديد الاعتناء بتنميقه وتزويقه . ويُلف كالدرج ويدفعه البطريرك

صفحة من السوستاثيقون الذي سلّمه البطريرك اغناطيوس كوركيس الى السيد ديونيسيوس ميخائيل جروة على اثر ترتيبه اياه عام ١٧٦٦ الى مطرانية حلب، في دير الزعفران، وهو اثر تاريخي نفيس مصون في دير الشرفة مزيّن بصنوف الخطوط السطرنجيلية والسريانية، ومنسّق بضروب الاشكال الملوّنة الظريفة.

الى الاسقف فيحمله الى ابرشيته ويُتلى على مسامع ابناء رعيته عند وصوله اليهم . وقد نشرنا مثل هذا الصكّ على صفحات المشرق (١١ [١٩٠٨]: ٥٦٥) وتشتمل خزانة دير الشرفة والدار البطريركية وخزانة الآباء اليسوعيين في بيروت على امثال هذا السوطائيقون البديع الذي يستغرق طوله احياناً زهاء خمسين ذراعاً (انظر الشكل).

الى هنا ما قيّض الله لنا نشره على صفحات المشرق الاغرّ مما ينوط بجميع الرتب الكهنوتية في الطائفتين الشقيقتين المارونية والسريانية. فيا حبذا لو أنشئت لجنة من مفكري اكليرس كلتا الملّتين الكريمتين تدرس الصحف السريانيّة القديمة الثمينة وتنظر في اصل هذه الرتب وفصلها وتعمل الرويّة في كلّياتها وجزئياتها فتنتقي منها ما هو الاحقّ بالاتباع وتعرضه على السادة الاحبار الاجلاء ليوافقوا على نشره بالشكل الكامل. وهكذا يجري استعماله كسالف الاحقاب بنظام واحد في الطائفتين كلتيهما . حقّق الله تعالى الآمال.